علماء الأندلس ودورهم فى التصدى للقوى الأسبانية المسيحية فى عصر الطوائف

أ. د. سحر السيد عبد العزيز سالم(*)

مقدمة :

تعددت الدراسات التاريخية التى تصدت لتحليل وتعليل أسباب انـــهيار دولـــة الإسلام فى الأندلس . وتجمع أغلب المدارس التاريخية علـــى أن تعـــدد العنـــاصر السكانية التى تكون منها المجتمع الأندلسى ، وتنافرها ، كان من أهم وأبــــرز هــذه العوامل ، فمن عرب قيسيه ويمنية ، إلى بربر ، ومـــن صقالبــة ومولديــن إلـــى مستعربين ويهود . وكانت هذه العناصر السكانية متنازعة متصارعة ، تميــل إلـــى التكتل فى بؤرات عمرانية خاصة بها(1) . وقد ساعد على ذلك ، الطبيعة الجغرافيـــة لأسبانيا ، فالسلاسل الجبلية التى تمتد من الشرق إلى الغرب ومن الشمال الشــــرقى إلى الجنوب الغربى ، قسمت البلاد فى حقيقة الأمر إلى مناطق شبه مستقلة تفصـــل بينها الحواجز التى كان من الصعب على الحكومات المركزية فى الأندلس اجتيازهـا مما ساعد على تشجيع النزعات الانفصالية(2) .

هذا إلى جانب سوء سياسة حكام الدولة الأموية فى الأندلس وتخبطها وعــــدم ثباتها على مبدأ واحد إزاء العناصر السكانية المختلفة . ولتوضيح ذلـــك يمكننـــا أن نقسم عصر الدولة الأموية إلى مرحلتين أساسيتين من حيث سياسة حكامها ،وتبـــدأ المرحلة الأولى منذ عهد الأمير عبد الرحمن الداخل (١٣٨ - ١٧٢هـــ) وحتـــى عهد عبد الرحمن الناصر (٣٠٠ - ٣٥٠هـ) ، وهى المرحلة التى الـــتزم فيـــها أمراء بنى أمية سياسة التعصب والتحيز للعنصر العربى علـــى حســـاب الأجنـــاس الأخرى مما أدى إلى تذمر العناصر السكانية غير العربيـــة كـــالبربر والمولديـــن ،

(*) أستاذ التاريخ الإسلامى والحضارة الإسلامية - كلية الآداب - جامعة الإسكندرية .

فاندلعت ثوراتهم بداية من ثورة البربر فى رندة فى عهد الأمير هشام الرضـــا[٣] ، وثورة مولدى طليطلة فى سنة ١٨١هـ فى عهد الأمير الحكم الربضـــى (١٨٠ - ٢٠٦هـ)[٤] .

وقد تأججت نيران هذه الثورات فى عهد الأمير عبد الرحمن الأوسـط (٢٠٦ - ٢٣٨ هـ)[٥] ، عندما تحالف المولدون مع البربر ، غير أن هذه الفتن لم تنجـح فى تهديد كيان الدولة الأموية بداية من عهد الأمير محمـــد (٢٣٨ - ٢٧٣هـــ) حيث تمزقت الوحدة الأندلسية ، واقتصر سلطان بنى أمية على قرطبة . وقد تغيرت هذه السياسة الأموية باعتلاء عبد الرحمن الناصر الحكم (٣٠٠ - ٣٥٠ هــــ) ، فبعد قضائه على الثورات والمنتزين وإعلانه الخلافة سنة ٣١٦هـ ونجاحه فى لـم شمل الأندلس ، بدأ سياسة جديدة قوامها إضعاف العصبية العربية فى جيشه أى أنـه مال إلى اتخاذ سياسة جديدة تختلف عن سياسة المرحلة السابقة ، وأتصور أنه كـان يرغب بذلك فى إزالة الحواجز النفسية التى تكونت لدى العناصر السكانية الأندلسـية غير العربية ، فكان إن استكثر من عنصر جديد فى جيشه وهـــو الصقالبـة ، ثـم استكمل المنصور محمد بن أبى عامر المضى فى هذه السياسة عندما اعتمد علـــى عنصرى الصقالبة والبربر ونظم الجيش بأن قسمه إلى فرق تتمثل القبائل فـــى كـل منها ، رغبة منه فى إزالة العصبية العرقية ، ولكن ذلك آثار الأحقاد فـــى نفـوس العرب فتفجرت براكين غضبهم فى عهد ابنه عبد الرحمن شنجول ،وكان ذلك سـببا فى اندلاع الفتنة وقيام الحرب الأهلية ومن ثم انهيار وسقوط الخلافة الأمويـــة فـــى الأندلس وانفراط عقدها وقيام عصر دويلات الطوائف[٦] .

أما ثالث عوامل انهيار دولة الإسلام فى الأندلس فهو فى اعتقادى أهـم هـذه العوامل وأخطرها على الإطلاق ،ويتمثل فى استعانة المسلمين المتحاربين بـــالعدو الأسبانى فى الشمال ، على بعضهم البعض . ومن المعروف إن حركة الاســـترداد المسيحى الأسبانى La Recon Quista بدأت فى الظهور بوضوح منذ عصر الـــولاة

(٩٧ - ١٣٨هـ) ، وبدأت سياسة الأسبان فى محاربة المسلمين ، تتخذ كل الأساليب مشروعة كانت أو غير مشروعة ، وأخذت هذه السياسة تتلون وتتشكل طبقاً للمصالح الأسبانية ، فإذا كانت مصلحة حركة الاسترداد فى التحالف مع عنصر أندلسى مسلم ضد آخر ، مضى الأسبان فى هذا الطريق حتى النهاية ، وكان مسلمو الأندلس فى استعانتهم على بعضهم البعض بالأسبان ، يتغافلون عن إدراك أبعاد المخطط الأسبانى الحقيقية.

وتجسدت هذه السياسة الأسبانية بجلاء فى عصر الدولة الأموية حين استعان الثوار المولدون والبربر بالأسبان على أمراء الدولة الأموية والحكومة المركزية فى قرطبة أمثال عمر بن حفصون وابن مروان الجليقى وسعدون السرنباقى[٧] . وازداد الأسبان مضيا فى سياستهم تلك عندما وجدوها قد أثمرت ثمارها من إضعاف كيان المسلمين وتفتيته ، فوجدناهم ينتهزون فرصة قيام الحرب الأهلية واندلاع الفتنة[٨] وانهيار الخلافة الأموية ليتدخلوا بقواتهم العسكرية لمساندة الأطراف الأندلسية المتطاحنة على بعضها البعض طمعاً فى مزيد من الضعف للمسلمين .

وكان المسلمون فى سبيل الحصول على تلك المعونة العسكرية الأسبانية يتنازلون عن الأراضى والمدن الإسلامية تباعاً للأسبان .

وتزايد تدخل الممالك الأسبانية المسيحية فى السياسة الأندلسية فى عصر ملوك الطوائف عندما أخذت كل دويلة من دويلات الطوائف تستعين على جارتها المسلمة بالمساعدات الأسبانية . ولعل مأساة سقوط طليطلة فى يد الفونسو السادس ملك قشتالة وليون فى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، رغم كل ما قدمه ملكها السابق المأمون بن ذى النون للملك الفونسو السادس خير مثال على ذلك[٩] . كما سجل الهجوم النورمندى على مدينة بربشتر فى سنة ٤٥٦هـ وعيثهم فى المدينة فساداً ، ونبحهم وأسرهم أهلها ، بداية لهوان المسلمين وزوال هيبتهم فى شبه القارة الأيبيرية ثم جاء سقوط طليطلة فى يد الفونسو السادس ملك قشتالة وليون ليسطر

البداية الفعلية والحقيقية لضياع الإسلام فى الأندلس . وكانت طليطلة هى الضحية الأولى بين دويلات الطوائف وممالكها ، لخلافات حكام هذه الدويلات واستعانة ملوكها بالأسبان ، فقد قامت هذه الدويلات على أسس عنصرية وعرقية ، وكانت الحروب بينها ، وبذ ل الإتاوات لملوك أسبانيا المسيحية استرضاء لهم ولمعونتهم العسكرية ، هى السمة الوحيدة المشتركة فى السياسة الخارجية لدويلات الطوائف .

وتشير المصادر إلى أن الصدمة زلزلت نفوس بعض ملوك الطوائف المسلمين فى أعقاب سقوط طليطلة ، ويأتى على رأسهم المتوكل عمر بن الأفطس ملك بطليوس وغرب الأندلس ، وكذلك المعتمد بن عباد ملك إشبيلية ، فقد شعرا بالأخطار الأسبانية التى باتت تهدد مملكتيهما خاصة وأن الفونسو السادس ملك قشتالة وليون بدأ يرسل إليهما برسائل التهديد والوعيد ، وبدأت نذر الشر تقترب من بقية دويلات الطوائف فكان إن بدأ المتوكل عمر بن الأفطس بالدعوة لوحدة المسلمين فى الأندلس وتناسى الخلافات مستخدما بعض وزرائه من الأدباء والكتاب فى الدعوة للم الشمل ، كما أخذ يستغيث بيوسف بن تاشفين أمير المرابطين فى المغرب فى ذلك الوقت . كذلك قام المعتمد بن عباد بالاستنجاد بالمرابطين وذهب بنفسه إلى يوسف بن تاشفين طالبا منه المعونة العسكرية المرابطية لمواجهة الأخطار الأسبانية ، فكان العبور المرابطى إلى الأندلس فى العام التالى لسقوط طليطلة ، وتعاونت الجيوش الأندلسية مع الجيوش المرابطية لتحقق مجتمعة انتصارا إسلاميا كبيرا فى موقعة الزلاقة الأولى سنة ٤٧٩هـ/١٠٨٦م .

تقييم للبيئة العلمية فى الأندلس فى عصر دويلات الطوائف :

ما نريد أن نطرحه فى هذا البحث يتمحور ويتمركز حول فكرة أساسية وهى دور علماء الأندلس فى عصر الطوائف إزاء هذه الأوضاع السياسية المتردية للمسلمين فى الأندلس ومدى مشاركتهم فى هذه الأحداث الخطيرة وموقفهم من

الصراعات السياسية بين الدويلات الإسلامية المختلفة واستعانة المسلمين بعضهم على بعض بالقوى الأسبانية المسيحية .

ونتساءل من خلال هذا البحث ، هل أدى علماء الأندلس الدور المنوط بهم كحملة أقلام نزيهة ، وكأمناء على مصلحة الدين والأمة . وهل كان هؤلاء العلماء على مستوى المسئولية المطلوبة منهم كرجال علم ودين ؟

وفى البداية ، لابد من تحديد أنواع العلماء ، والعلوم التى كانت شائعة فى الأندلس فى عصر الطوائف ، فهذه العلوم تنقسم إلى ثلاثة أنواع :

أولهما : العلوم الدينية ... وتشمل الفقه والحديث والتفسير والقراءات .

ثانيهما : العلوم اللسانية ... مثل العلوم اللغوية والنحوية والأدب والشعر والتاريخ العام .

وثالثهما : العلوم الدنيوية ... كالفلك والرياضة والطب والجغرافية والهندسة وعلوم النبات والزراعة(١٠) .

ونلاحظ أنه كان لبعض الفقراء على وجه الخصوص ومن بعدهم الشعراء والأدباء والمؤرخين ، دور بارز فى إدارة دفة الأحداث فى هذه الحقبة التاريخية . وبوجه عام فإننا نقسم العلماء سواء كانوا فقهاء أو أدباء أو مؤرخين أو شعراء فى أى عصر من العصور ، إلى نوعين ، النوع الأول منهم ، يكرس كل فنونه وطاقاته لخدمة نفسه وذاته ودنياه(١١) . والنوع الآخر وهو ما يعنينا فى هذا البحث هو الذى يكرس علمه وإبداعاته لخدمة قضايا أخلاقية ومبادئ عليا سامية .

وإذا ما أردنا تقييم نسبة كل نوع إلى الآخر فى عصر الطوائف ، لوجدنا بطبيعة الحال إن النوع الثانى الذى يقضى حياته متبحراً فى العلم من أجل خدمة قضية أخلاقية أو مبدأ سامى مترفعاً عن أى منصب يقربه من ذوى المال والسلطان والجاه ، متحرراً بفكره من أغلال السلطة ، كان أقل عدداً بكثير إذا ما قورن

بهؤلاء العلماء الذين استغلوا علمهم وأخضعوه وطوعـوه لطموحاتـهم مـن أجـل الوصول إلى ما يصبون إليه ، ومن أجل تحقيق مصالحهم الشخصية ومن ذلك علـى سبيل المثال ، فئة الشعراء المنافقين الذين ظهروا فى عصر الطوائف ومن هـؤلاء شاعر امتدح حديقة رؤوس القتلى التى أقامها المعتضد بن عباد ملك إشبيلية للقتلـى من أعدائه قائلا :

جلاء للعين مبهجة للنفـــوس حدائق اطلعت ثمر الـرؤوس[١٢]

وأيضا تلك الأبيات الشعرية التى وصف بها الشاعر أبو بكر الدانى ما كـان يدفعه ويؤديه المعتمد بن عباد من إتاوة وجزية لالفونسو السادس ملك قشتالة وليـون بقوله :

فىنصرة الدين لا أعدمت نصرته تلقى النصارى بما تلقى فتنخدع[١٣]

وقد عرف شعراء أمثال ابن شرف القيروانى وأبو عبد الله الحداد بأنهم مـن تلك النوعية التى تتخذ من الشعر والأدب وسيلة للوصول إلى ما يرجونه من منـازل عالية[١٤] .

وفيما يتعلق بالنوع الأخير من علماء الأندلس ، الذى اهتم بقضايا مجتمعـه ، وكرس علمه وقدراته الإبداعية لخدمة مصلحة أمته ودينه ، والذى كان كما سـبق وإن أشرنا يمثله قلة قليلة من الفقهاء ويليهم عدد من الشعراء ، فإنهم جديرون بـأن نفرد لدورهم . هذه الدراسة المستقلة ، إكبارا لهذا الدور العظيم وإجلالا لهم نظـير ما تحملوه من صعاب ومشاكل هددت حياتهم فى كثير من الأحيان وأن كانت هـذه الجهود التى قام بها هؤلاء العلماء لم تسفر فى نهاية الأمر عن إنقاذ دولة الإسـلام فى الأندلس ، فقد أنهار الكيان الإسلامى والحضارة الإسلامية فى أسبانيا بعد ثمانيـة قرون من عمر الزمان ، ولكن شرف المحاولة التى قام بها هؤلاء العلماء لجديـرة بأن نتوقف أمامها وقفة قصيرة لإلقاء الضوء عليها كتجربة إنسانية شريفة فى هـذه اللحظات الحرجة من تاريخ الإسلام فى الأندلس .

اتخذت مقاومة هؤلاء العلماء الأندلسيين لخطر القوى المسيحية الأسبانية ثلاثة صور تدرجت فى أهميتها وقوتها وفى مدى إيجابيتها وفاعليتها ، أما الصورة الأولى فتمثلت فى قيام طائفة من علماء الأندلس بنقد سياسة ملوك الطوائف نقداً شديداً ، أثار غضب هؤلاء الملوك فى كثير من الأحيان مما هدد حياة هذه الطائفة من العلماء ، ثم تطورت الأمور ، وتخطت المقاومة مجرد النقد السياسى ، عندما جند بعض العلماء الأندلسيين أنفسهم وحياتهم للتجوال فى جميع أنحاء الأندلس لوعظ الناس وحث الحكام على تناسى خلافاتهم ولم شمل المسلمين ، فكانت هذه هى الصورة الثانية من صور المقاومة التى أبداها علماء الأندلس تجاه الخطر الأسبانى وفيما يتعلق بالصورة الثالثة أو الأخيرة من صور هذه المقاومة فتتمثل فى جهاد بعض العلماء بالنفس والروح فى سبيل قضية الدين والأمة الإسلامية بالمشاركة فى المعارك الحربية ضد الأسبان واستشهاد بعضهم فى هذه المعارك .

١ - الصورة الأولى من صور مقاومة علماء الأندلس للخطر الأسبانى وتتمثل فى النقد السياسى لملوك الطوائف :

كان لفقهاء الأندلس فى عصر الطوائف دور رائد وبارز فى نقد الأوضاع السياسية آنذاك ، ولعلنا نجد اسم الفقيه الشاعر أبو حفص عمر بن الحسين الهوزنى يتصدر قائمة أسماء فقهاء هذا العصر من حيث انصهاره فى قضايا أمته الأندلسية ودينه ، ولكفاحه الأدبى ، وتكريسه قلمه لخدمة الأهداف الأخلاقية السامية .

لقد آمن الفقيه أبو حفص عمر الهوزنى بأن من يحمل القلم فهو يحمل أمانة مقدسة لابد من الحفاظ عليها . وكان جديراً بحمل هذه الأمانة إلى أقصى الحدود ، فقد انتهت به شجاعته الأدبية فى نقد الأوضاع السياسية الإسلامية المتردية آنذاك إلى أن يدفع حياته ثمناً لهذه الأمانة والشجاعة .

فقيهنا أبو حفص عمر بن الحسين الهوزنى ، فقيه ، ومحدث وشاعر وأديب(١٥) ، ذكره ابن بسام فى الذخيرة ، والحجارى فى المسهب ، ولد فى عام

٣٩٢هـ ، ورحل إلى المشرق لأداء فريضة الحج فى عام ٤٤٤هـ ، وزار مصر وسمع بالحجاز ، كتاب صحيح البخارى ، وعنه أخذه أهل الأندلس ، وعندما رجع من رحلته المشرقية استقر بإشبيلية وسكنها وخدم ملكها المعتضد بن عباد .

وقد فضل الهوزنى مصلحة أمته على مصلحته الشخصية ، فكان لا يكف عن نقد سياسة المعتضد بن عباد الذى عرف بقسوته وحروبه مع جيرانه من الملوك والأمراء المسلمين وميله لابتلاع الممالك الإسلامية الصغيرة المجاورة له ، فكان الهوزنى يصرح بما يعتمل فى نفسه من ألم إزاء تطاحنه مع جيرانه المسلمين وتقاتله معهم ، وقد فاضت آلامه عندما رأى الجنود الفرنج من النورمنديين يتغلبون على مدينة برشتر فى ٤٥٦هـ/١٠٦٤م ويكتسحون تلك المدينة المسلمة وينكلون بأهلها ، فخاطبه برسالة ينتقد فيها أحوال ملوك المسلمين ومنهم المعتضد نفسه ، ويحضه فيها على الجهاد وقد بعث له بهذه الرسالة من مدينة مرسية ومنها قوله :

أعباد جل الرزء والقوم هجع ... على حالة مامثلها يتوقع

فلق كتابى من فراغك ساعة ... وإن طال فالموصوف للطول موضع

إذا لم أبث الداء رب شكاية ... أضعت وأهل للملام المضيع(١٧)

كما وصله بنثر فيه قوله « ما أخطأ السبيل من أتى البيوت من أبوابها ولا أرجأ الدليل من أناط الأمور بأربابها ، ولرب أمل بين أثناء المحاذير مدمج ومحبوب فى طى المكاره مدرج ، فانتهز فرصتها فقد بان من غيرك العجز وطبق مفاصلها فقد أمكنك الحز ولا غرو أن يستمطر الغمام فى الجدب ويستصحب الحسام فى الحرب ... »(١٨) .

وله أيضاً :

صرح الشر فلا يستقل ... إن نهلتم جاءكم بعد عل

بدء صعق الأرض رش وطل ... ورياح ثم غيم أبل

خفضوا فالداء رزء أجل   واغمدوا سيفا عليكم يسل

وقد ضاق المعتضد بن عباد ملك إشبيلية ذرعا بهذا الفقيه من جراء تدخله المستمر فى السياسة ، ومطالبته له بما ليس بالهين ، فهذا الفقيه كان غيورا على مصالح دينه وأمته ، آمن بضرورة تبليغ الرسالة لذويها ، لكن هذه المبادئ ، وهذه القيم ، إن حمدها له جمهور الشعب ، فإن المعتضد بن عباد لم يحمدها له لأن سياسته كانت تتجه وتميل إلى مهادنة الأسبان إلى درجة تقديم الإتاوات وبذل الأموال استرضاء لهم ، ولهذا فقد قرر المعتضد إخراس هذا اللسان وكسر هذا القلم الأمين إلى الأبد فاستدعاه إلى قصره بإشبيلية وقام بقتله بنفسه فى يوم الجمعة ١١ ربيع أول سنة ٤٦٥هـ ودفنه فى قصره بثيابه وقلنسوته وهال عليه التراب دون غسل ولا صلاة[١٩] .

ومما سبق يتبين لنا ، إن شجاعة هذا الفقيه وحرصه على قضايا دينه وأمته ، وأن آراءه الثورية ودعوته ملكه إلى لم الشمل ، ونقده لسياسته المتحالفة مع الأعداء ضد جيرانه المسلمين ، كانت السبب وراء إنهاء حياته بهذه الصورة المأساوية ومقتله[٢٠] .

ولم تنته قضية أبى حفص عمر الهوزنى عند هذا الحد ، فقد نشأ ولده أبو القاسم ويداخله الرغبة فى الثأر لمقتل أبيه من بنى عباد ، ولهذا فقد كان سببا من اسباب محاربته دولة المعتمد عباد بن المعتضد قاتل أبيه ، فكان أبو القاسم الهوزنى ممن حرضوا يوسف بن تاشفين أمير المرابطين على إزالة ملك هذه الأسرة العبادية[٢١] .

كذلك كان للفقيه المحدث الشاعر أبى محمد عبد الله بن فرج بن غزلون اليحصبى المعروف بأبى العسال الطليطلى دور كبير فى نقد سياسة ملوك الطوائف، وقد عرف ابن العسال الطليطلى بالزهد واشتهر بالكرامات وإقامة الدعوات[٢٢] ، كما كان من اشهر مفسرى القرآن الكريم فى عصره إلى جانب نبوغ

صيته كشاعر مجيد ، وكان يميل إلى الابتعاد عن أصحاب السلطان وكثيراً ما كـان يلزم بيته منكباً على علمه(٢٣) .

وكان ابن العسال ممن تأثروا وتألموا لمأساة بربشتر ، وانشد فيـها قصيدة عبر فيها عن آلامه وأحزانه وانتقد ملوك الطوائف فى أبياتها ومنها :

ولقد رمانا المشركون باسهم　　لم تخط لكـن شانهـا الأصحاء
هتكوا بخيلهم قصور حريمها　　لـم يبـق لا جبل ولا بطحاء
جاسوا خلال ديارهم فلهم بها　　فـى كل يوم غـارة شعواء
ماتت قلوب المسلمين برعبهم　　فحماتنا فـى حربهـم جبنـاء
كم موضع غنموه لم يرحم به　　طفـل ولا شيـخ ولا عـذراء(٢٤)

وهو صاحب الشعر الشهير بعد سقوط طليطلة فى سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م فـى يد الفونسو السادس ملك قشتالة وليون :

يا أهل الأندلس حثوا مطيكم　　فمـا المقـام بهـا إلا من الغلط
الثوب ينسل من أطرافه وارى　　ثوب الجزيرة منسولاً مـن الوسط
ونحن بين عدو لا يفارقنـا　　كيف الحياة مع الحيات فى سفط(٢٥)
من جادر الشر لا يأمن بوائقه　　كيف الحياة مع الحيات فى سفط

وقد رحل ابن العسال إلى غرناطة بعد سقط طليطلة وعاش بها حتـى وفاتـه فى سنة ٤٧٨هـ ، وقد نيف على الثمانين عاماً(٢٦) .

كذلك تبرز أسماء أخرى لبعض الفقهاء الأندلسيين الذين فقدوا حياتهم أيضـاً على أيدى أصحاب السلطان ، ثمناً لجرأتهم وشجاعتهم الأدبية ، ونقدهـم لسياسـة

ملوكهم-آنذاك ، منهم الفقيه الشهير محمد بن جهور بن محمد من أسرة أبـــي عبـدة التي أفردت لها منذ عامين دراسة خاصة .

ولد محمد بن جهور بن أبي عبدة سنة ٣٩١هـــ ، وكان فقيها مجيدا ، يقـــرأ القرآن ويجوده ويحفظه ، وقد انتهت حياته معتقلا في سجن مدينة شلطيش من قبـــل المعتمد بن عباد في سنة ٤٦٢هــ(٢٧) .

كذلك يبرز اسم الفقيه عمر ابن حيان بن خلف بن حيـــان القرطبـــي ، ابـــن المؤرخ الكبير ، ابن حيان ، الذي انتهت حياته بالقتل على يد المأمون الفتـــح بـــن محمد بن عباد في مدينة المدور في سنة ٤٧٤هــ الذي مثل بجثته ابشع تمثيـل(٢٨) ، لفصاحته ويقظته ودوره البارز في نقد الأوضاع السياسية في ذلك العصر مثل والده المؤرخ العظيم الذي سنشير في الصفحات التالية ، إلى دوره الكبير في هذا المجـــال عند حديثنا عن دور مؤرخي الأندلس في النقد السياسي .

وإذا ما انتقلنا بالحديث عن فقهاء الأندلس إلى الحديث عن شعراءها ودورهـــم في نقد الأوضاع الإسلامية المتردية في عصر الطوائف فإننا نطالع اســـم الشـــاعر الأديب أبا القاسم خلف بن فرج الاليبرى المعروف بالسميسر الـــذي وصـــف فـــي المصادر الأندلسية بأنه كان باقعة عصره وأعجوبة زمانه ودهره ، اختص في شعر القدح والهجاء ، وقد هجا ملوك غرناطة مما هدد حياته بالخطر فهرب إلى المعتصم ابن صمادح بالمرية ، ورغم ذلك فإن ابن صمادح لم يسلم من هجاتـــه(٢٩) . ومـــن نماذج شعره الذي انتقد من خلاله سياسة ملوك الطوائف بالأندلس قوله :

نـــاد الملوك وقل لهم ... مـــاذا الذي أحدثتـــم

أسلمتـــم الإسلام في ... أســـر العـــدا وقعدتم

وجب القيـــام عليكم ... إذ بالنصـــارى قمتم

لا تنكروا شق العصا ... فعصا النبي شققتـــم

وقال :

رجـــوناكـــم فمـــا انصفتمونا   وأملناكـــم فخذلتمونـــا

سنصبر والزمان لـــه انقلاب   وأنتـــم بالإشارة تفهمونـــا

وقال فى الأمير عبد الله ابن بلقين ، أمير غرناطة فى عصر الطوائــف وقــد رآه يحصن نفسه من جيرانه المسلمين .

يبنى على نفســـه سفاهـــا   كأنـــه دودة الحريـــر(٣٠)

ولعل أشهر أبيات شعرية ، هى تلك التى قيلت فى نقد وهجاء ملوك الطوائــف وسياساتهم ، استهانة بهم واستخفافا بدورهم السياسى ما ذكـره الشــاعر الأندلســى الشهير ، أبو الحسن بن رشيق القيروانى ، الذى انتقد بشدة الصراعات بين ملـــوك الطوائف بقوله :

مما يزهدنى فى أرض أندلس   أسمـــاء معتضد فيها ومعتمد(٣١)

ألقاب مملكة فى غير مواضعها   كالهر يحكى انتفاخا صولة الأسد

أما الشاعر والأديب محمد بن أحمد بن أسحق بن طاهر ، فقد كان من أكــثر الشعراء الذين انتقدوا القادر بن ذى النون ، ملك طليطلة وقد فرح لمقتله ، وأرســل يخاطب أبو أحمد جعفر بن عبد الله بن جحاف فى هذه المناسبة بقوله :

أيهـــا الأحيـــف مهـــلا   فلقـــد جئـــت عويصـــا

إذ قتلـــت الملـــك يحى   وتقمصـــت القميصـــا

رب يـــوم فيـــه تجـــزى   لـــم تجـــد عنـــه محيصا(٣٢)

وفيا يتعلق بمؤرخى الأندلس يتصدر اسم المؤرخ الكبير ابـــن حيـــان قائمـــة مؤرخى الأندلس الذين تصدوا بالنقد العنيف ، لملوك الطوائـــف ، وحملـــوا علـــى

سياساتهم التى أغرقت رعاياهم فى بحور من الدماء بددت قوة وهيبة الإسلام فى أسبانيا .

ويعتبر ابن حيان بحق « صاحب وحامل لواء التاريخ الأندلسى » على حد وصف تلميذه أبو على الجيانى(٣٣) .

ولد ابن حيان فى سنة ٣٧٧هـ فى عهد الخليفة الأموى هشام المؤيد بن الحكم المستنصر فى قرطبة ، ووالده هو خلف بن حسين بن حيان ، أحد كتاب المنصور ابن أبى عامر(٣٤) ، وقد صحب المنصور فى غزواته الشهيرة .

أما حيان ، الجد الأول لمؤرخنا الكبير ، قد كان مولى للأمير عبد الرحمن بن معاوية بن هشام ، الداخل(٣٥) ، ولهذا فقد ارتبطت أسرة بن حيان لصلة ولاء بالأسرة الحاكمة المروانية ، ولهذا السبب أيضا فقد نشأ المؤرخ الكبير ابن حيان ، على دراية كبيرة ببواطن السياسة ودخائل الأمور ، كما كان على علم بأحوال الممالك الأسبانية المسيحية .

وقد تقلد ابن حيان منصب « صاحب الشرطة » الذى يعد من المناصب العالية فى الأندلس ، وهو يقارب منصب الوزير أو الحاجب ، ولكنه رفض أن يتقلد غيره من المناصب السياسية ليتفرغ لكتابة التاريخ ، وتوفى ابن حيان فى عصر الطوائف فى سنة ٤٦٩هـ(٣٦) .

لقد أمضى ابن حيان حياته يدافع عن فكرة سياسية هامة وهى الاعتداد بالجماعة ، أو الوحدة الأندلسية(٣٧) ، التى اكتملت فى اعتقاده فى ظل خلافة بنى أمية ، ثم أطاحت بها الفتنة البربرية إلى الأبد .

ولم يكل ابن حيان ، أو يمل فى لحظة ، عن الدفاع عن فكرة ضرورة وحدة الأندلس ولم شمل المسلمين ، ولهذا فقد وصف الثوار والمنفصلين عن الدولة الأموية فى عصر الأمراء محمد والمنذر وعبد الله (٢٣٨ - ٣٠٠ هـ) بأبشع

الصفات ، ولا سيما الثائر عمر ابن حفصون ، كذلك كان يشعر بمرارة عميقة لانفصام عرى الوحدة الأندلسية فى عصر ملوك الطوائف . ومن هذا المنطلق ، نجد أن ابن حيان قد دافع فى كتاباته عن الخلافة الأموية وأكثر من انتقاده لملوك الطوائف ، فقد كان يرى فى الخلافة ، العاصم الوحيد للأندلس من التفكك والانهيار. وربما كان اعتداده الشديد بالجماعة وبوحدة الأندلس التى جاهد الأمويون دائما للحفاظ عليها ، هو الذى جعل ابن حيان ينفر كل النفور من ملوك الطوائف الذين مزقوا تراث الخلافة ولم يحسن أحد منهم الحفاظ على ما فى يده ، بل أدى تفريطهم فى الأمانة وتناحرهم وتحالفهم مع أعدائهم علي بعضهم البعض ، إلى تضييع الأمة الأندلسية كلها فى النهاية .

ولعل هذا الدفاع المستميت من قبل ابن حيان عن الخلافة الأموية ، دفع الكثيرون إلى الظن ، بأن صلة الولاء التى ربطت بين أجداد ابن حيان ، وبين عبد الرحمن الداخل ، هى السبب وراء النزعة الأموية لدى ابن حيان ، ولكن ابن حيان الذى أمضى عمره كله فى عصر ملوك الطوائف بعد انقضاء حكم المروانيين ، لم يكن ليستفيد على الإطلاق من الإشادة بمآثر هذه الدولة المروانية المندثرة اللهم إلا إذا كان دفاعه يكمن وراءه إيمان عميق بقضية كبيرة وهدف سام ألا وهو الدفاع عن وحدة الأندلس ضد تهور وضعف ملوك الطوائف[٣٨] .

ويعد ما كتبه ابن حيان عن محنة مدينة بربشتر التى اقتحمها النورمان فى سنة ٤٥٦هـ/١٠٦٤م ، فيه إجمال لرأى ابن حيان فى ملوك الطوائف جميعهم ، ومن ينافقهم من زملائه من العلماء وهو من أقوى نماذج النقد السياسى فى تاريخ الأندلس الإسلامى على الإطلاق فهو يقول :

« طرق الناعى بها قرطبتنا فجأة من صدر شهر رمضان من العام ، فصك الأسماع وإطار الأفئدة ، وزلزل أرض الأندلس قاطبة ، وصير للكل شغلا تسكع الناس فى التحدث به والتساؤل عنه والتصور لحلول مثله ، إذا لم يفارقوا فيها

عاداتهم من استبعاد الوحل ، والاعتزاز بالأمل ، والإسناد إلى أمراء الفتنة الـهمل ، الذين هم منهم ما بين فشل ووكل : يصدونهم عن سواء السبيل ، ويلبسون عليهم وضوح الدليل . ولم تزل آفة الناس منذ خلقوا فى صنفين منهم هم كالملح ، فيهم الأمراء والفقهاء ، قل ما تتنافر إشكالهم : بصلاحهم يصلحون وبفسادهم يردؤون ، فقد خص الله تعالى هذا القرن الذى نحن فيه من اعوجاج صنفيهم لدينا هذه لا كفاية له ، ولا تخلص منه ، فالأمراء القاسطون قد نكبوا بهم عن نهج الطريق نيادا عن الجماعة وجريا إلى الفرقة ، والفقهاء أئمتهم صموت عنهم ، صدوف عما أكد الله عليهم فى التبيين لهم ، قد أصبحوا بين كل من حلوائهم خابط فى أهوائهم ، وبين مستشعر مخافتهم ، أخذ بالفتنة فى صرفهم ، وأولئك هم الأقلون فيهم ، فما أقول فى أرض فسد ملحها الذى هو المصلح لجميع أغذيتها ؟ هل هى إلا مشفية على بوارها واستئصالها ؟ ولقد طمى العجب من أفعال هؤلاء الأمراء إن لم يكن عندهم لهذه الحادثة النكراء فى بربشتر إلا الفزع إلى حفر الخنادق ، وتعلية الأسوار ، وشد الأركان وتوثيق البنيان ، كاشفين لعدوهم عن السوأة السواء من إلقائهم بأيديهم إليهم: أمور قبيحات الصور مؤذنات الصدور بإعجاز تحل الغير :

أمور لو تدبرها حكيم   أذن لنهى وهبب ما استطاعا

وقد أفشينا فى شرح هذه الفادحة مصائب جليلة مؤذنة بوشك القلقة ، طالما حذر عليها أسلافنا لحاقها بما احتملوه عمن قبلهم من آثاره ، ولأشد مما أفشينا عند أولى الألباب ما أخفيناه مما دهانا من داء التقاطع ، وقد أمرنا بالتواصل والألفة وأصبحنا من أستشعار ذلك والتمادى عليه على شفا جرف يؤدى إلى الهلكة لا محالة ... »[٣٩] .

كذلك تعد الأخبار التى أوردها ابن حيان عن منذر بن يحى صاحب سرقسطة نموذجا قويا من نماذج كتاباته فى النقد السياسى فى تلك الحقبة ، فهو يصف انقلاب منذر على الخليفة هشام المؤيد ، رمز الوحدة الأندلسية ، وتحالفه مع ملوك الأسبان

بقوله « وأما عذره فالنار برأس اليفاع ، من أفحشه صنعه بهشام المخلوع ، مولى نعمته ومعلى رتبته وباعثه إلى الثغر لنصرته ، فانقلب ناصرا لعدوه وغزاه في عقر داره وأنزله عن سريره وأسلمه لحتفه ، وباع دماء عشيرته أهل قرطبة مجانا باطلا بلا ثمن من البرابرة ، على غير عذر ولا ضرورة وعاد بمثلها لمحمد بن سليمان أثيره عندما استجار به فى نكبته فقتله وهو ضيفه ... وكان لأول ولايته قد ساس عظماء الإفرنج وهاداهم حوطا للثغر وأهله وتأنيا للجماعة حتى تثوب لأهل الإسلام يناهضون بها عدوهم وكان رؤساء الجلالقة يومئذ ريمند الجليقى وشانجة القشتلى ، فسلك معهما سبيل الاسترضاء والموافقة والاستخذاء ، فحفظت أطرافه وكفت المعرة عن عمله ... وبلغ من استمالة الحاجب منذر لهذين الطاغيتين أن أجريا تصاهرهما على يديه ، وكتب عقد النكاح بينهما بحضرة سرقطة فى حفل من أهل الملتين فقرفت الألسنة منذرا لسعيه فى نظم سلك الطاغيتين لما فيه من سوء العاقبة . وقد قيل أن رأى منذر كان فى ذلك أحصف ، من رأى من قدح فيه ، وقرف لنظره فى شأن وقته ، وعلمه بانصداع عصا أهل كلمته ، فأثر من الموادعة ما ستر به العورة وشراه بغليظ الكلفة واختدع به عظيمى الجلالقة ريمند وشانجة المحدثين أنفسهما يومئذ بمناهضة أهل الأندلس ... »(٤٠) .

وقد اختار ابن حيان الإقامة فى قرطبة ، عاصمة الخلافة الأموية القديمة فى ظل الجهاورة ، الذين كانوا فى اعتقاده أقل أمراء الطوائف سوءا ، فضلا عن أن قرطبة كانت لم تفقد بعد مكانتها الروحية بين مدن الأندلس ، فحافظت على وضعيتها العلمية والثقافية ، ولكن طبيعة ابن حيان من اعتزازه بنفسه واحترامه لقلمه وكبريائه ، أدت إلى تكدير صفو العلاقات بينه وبين بنى جهور ، فقد تعرض ابن حيان لأبى الوليد بن جهور بنقد لاذع ، مما عرضه لغضب ولده عبد الملك الذى كاد أن يفتك بابن حيان لولا شفاعة والده أبى الوليد له .

وقد تحول ابن حيان بسبب نقده الشديد لسياسة ملوك الطوائف إلى « بطل شعبى » على حد تعبير المؤرخ الكبير الأستاذ الدكتور محمود على مكى فى نظر

الأمة الأندلسية ، تحف به هالة من الإكبار والإجلال ، فلم يقدم أحـد مـن ملـوك الطوائف لذلك ، على التعرض له بأى سوء(٤١) .

ولعل صفات ابن حيان وميله إلى نقد ذوى السلطان تغليبا للمصلحـة العليـا كانت السبب وراء الصداقة التى ربطته بالفقيه والمؤرخ أبى القاسم سوار بن أحمـد ابن سوار القرطبى ، الذى كان يحرص بدوره على الابتعاد عـن ذوى السـلطان ، ويتعفف عن منافقة ملوك الطوائف طمعا فى جاه ومركز ، واكتفى باهتمامه بعلمـه ودراساته(٤٢) .

كذلك جمعت أواصر الصداقة بين مؤرخنا ابن حيان وبين المؤرخ والفيلسوف والفقيه الشهير أبى محمد بن حزم لاتفاق كليهما فى الرأى حـول سياسـة ملـوك الطوائف .

وقد وصف ابن حيان صديقه ابن حزم بأنه كان حامل فنون الحديـث والفقـه والجدل والنسب(٤٣) . مع التعمق فى كثير من العلوم القديمة من المنطق والفلسـفة ، كما أكد على تشيعه لأمراء بنى أمية ماضيهم وباقيهم بالمشرق والأندلس وانحرافـه عن سواهم(٤٤) . ولعل هذا الولاء للأمويين وخلافتهم كان من أهم العوامـل التـى قربت بين هذين المؤرخين .

وكان ابن حزم من أكثر الناقدين لسياسة حكام الأندلس فى عصـرى الفتنـة والطوائف فقد وصف الأحوال السياسية فى بداية عصر الطوائف بقوله « فضيحـة لم يقع فى العالم إلى يومنا مثلها : أربعة رجال فى مسافة ثلاثة أيام فى مثلها ، كلـهم يتسمى بإمرة المؤمنين ويخطب لهم فى زمن واحد وهم : خلف الحصرى بإشـبيلية على أن هشام بن الحكم ، ومحمد بن القاسم بن حمود بالجزيرة ومحمد بن إدريـس ابن على بن حمود بمالقة ، وإدريس بن يحيى بن على بن حمود ببشتر(٤٥) .

كذلك انتقد ابن حزم الفقهاء والعلماء الذين هرعوا لخدمة ملوك الطوائف غير عابئين بسياساتهم المشينة طمعا فى منصب وجاه وهو فى ذلك يقول فى إحدى رسائله :

« وأما ما سألتم عنه من أمر هذه الفتنة ، وملابسه الناس بها مع ما ظهر من تربص بعضهم ببعض فهذا أمر امتحنا به ، نسأل الله السلامة وهى فتنة سوء أهلكت الأديان إلا من وقى الله تعالى ... وعمدة ذلك أن كل مدبر مدينة أو حصن فى شئ من أندلسنا هذه أولها عن آخرها محارب الله تعالى ورسوله وساع فى الأرض بفساد ... فلا تغالطوا أنفسكم ولا يغرنكم الفساق والمنتسبون إلى الفقه واللابسون جلود الضأن على قلوب السباع المزينون لأهل الشر شرهم ، الناصرون لهم على فسقهم فالمخلص لنا فيها الإمساك للألسنة جملة واحدة إلا عن الأمر بالمعروف والنهى عن المنكر وذم جميعهم ، فمن عجز منا عن ذلك رجوت أن تكون التقية تسعة »(٤٦) .

ومن النحاة الذين لم يكتفوا بالتعمق فى دراساتهم اللغوية وإنما آمنوا بقضية أمتهم ودينهم فى ذلك العصر ، يبرز اسم أبو الحسن على بن محمد بن السيد النحوى ، البطليوسى ، من غرب الأندلس الذى كان معروفا بالخيطيال ، وهو أخو العلامة الكبير أبى محمد ابن السيد .

ويذكر ابن بشكوال إن حياته انتهت لذلك فى السجن بأحد معتقلات القائد ابن عكاشة فى قلعة رباح فى سنة ٤٨٠هـ(٤٧) .

٢ - الصورة الثانية من صور مقاومة علماء الأندلس للخطر الأسبانى وتتمثل فى دعوتهم للم الشمل والوحدة الإسلامية فى عصر الطوائف :

يبرز اسم الفقيه القاضى العلامة أبو الوليد سليمان بن خلف بن سعد المعروف بالباجى كأحد أكبر الدعاة إلى ضرورة وحتمية توحيد الصف الإسلامى

والتضامن وجمع كلمة المسلمين بالأندلس لمواجهة مد حركة الاسترداد المسيحي الأسباني في عصر الطوائف .

وقد أثار المؤرخ الدكتور عبد الرحمن الحجي قضية للمناقشة في كتابة «التاريخ الأندلسي من الفتح الإسلامي حتى سقوط غرناطة» حول أهمية دور هذا الفقيه الكبير في تلك الفترة الحرجة من تاريخ الأندلس(٤٨) .

وأبو الوليد الباجي ، فقيه كبير ، وشهير ، ولد ببطليوس في النصف الثاني من ذي القعدة من سنة ٤٠٣هـ/١٠١٢م ، ونشأ بها ، وتولى التدريس والقضاء في كثير من بلاد المشرق الإسلامي ، وله العديد من المصنفات والأشعار التي جمعها ولده أبو القاسم . وتعد مناقشاته لابن حزم في جزيرة ميورقة من أشهر أعماله ، كما أنه أقام في سرقسطة عدة سنوات أثناء حكم المقتدر أحمد بن هود ، هذا إلى جانب توليه الرد على رسالة راهب فرنسي فند فيها مزاعمه ودعاه إلى اعتناق الإسلام(٤٩) .

وقد قام الباجي بدعوته هذه لوحدة الأندلس في بادئ الأمر من تلقاء نفسه ، ودون إيعاز من أي سلطة رسمية ، وكان ذلك في أعقاب عودته من رحلته إلى المشرق الإسلامي التي استغرقت ثلاثة عشر عاما (منذ عام ٤٢٦هـ حتى عام ٤٤٠هـ)(٥٠)، فقد وجد ملوك الطوائف بعد عودته أحزابا مفترقة متقاتلة ، ومتناحرة فأخذ ينتقل بينهم يعظهم(٥١) ويدعوهم للم الشمل ومدافعة العدو المشرك . وهم يجلونه في الظاهر ويستبردون نزعته في الباطن ويستثقلونه على حد تعبير ابن بسام(٥٢) .

ولعل نشاطه وحماسته كانا سببا دعا المتوكل عمر بن الأفطس ملك بطليوس، أن يعهد إليه رسميا بالقيام بهذه الدعوة بعد أن أحس بجهوده المستميتة لجمع شمل المسلمين في شبه القارة الايبيرية أمام الموجة الأسبانية الشرسة التي باتت تهدد كيان الممالك الإسلامية كلها آنذاك(٥٣) .

أما الفقيه والشاعر الكبير أبو عمر يوسف بن عبد الله بن عبد البر النمـــرى ، الذى كان لمولده فى سنة ٣٦٨هـ فى قرطبة عاصمة الخلافة القديمة ونشأته بـــها ، فى بيت أدب وعلم حيث كان والده أحد الشعراء البارعين والمشهورين فى الترســل الأدب ، أكبر الأثر فى إتقانه علوم السنة والقراءات، حتـــى حـــاز لقـــب « حـــافظ المغرب » وقد وصف فى المصادر بأنه كان ناصرا للسنة ولكنه كـــان فـــى نفـــس الوقت مستقلا فى فكره بعيدا عن الجمود ، مجددا فى الفقه والحديث مجتـــهدا فـــى استنباط المسائل الفقهية والأحكام ، يمحص آراء الأئمة ويستدل لرأيه بالسنة ويقارع الحجة بالحجة(٥٤) . وقد تولى أبو عمر عبد البر النمرى ، قضاء كل من الأشـــبونة وشنترين فى عهد المظفر بن الأفطس ، ولهذا فقد انتقل من قرطبـــة إلـــى غـــرب الأندلس ، وأخذ يتجول فى مدنها ، ثم توجه بعد ذلك إلى شرق الأندلس وتردد مـــا بين بلنسيه ودانيه وشاطبة داعيا إلى التوحيد ونبذ الفرقة .

ولأبى عمر بن عبد البر رسالة فى ذكر الجهاد واستنفار أهالى البلاد لمقاومـة العدو بعد نكبة مدينة بربشتر فى ٤٥٦هـ أوردها ابن بسام فى الذخيرة(٥٥) .

أما القاضى الفقيه ، والعالم ابو الأصبغ عيسى بن سهل بن عبد الله الأســدى ، الذى كان يعد من جلة الفقهاء ، وكبار العلماء بالأندلس فقد كان حافظا للرأى مـــهتما بالمسائل ، متبصرا بالأحكام والنوازل كما أنه تولى الشورى والصـــلاة بقرطبـــة ، والقضاء بالعدوة وغرناطة فكان أيضا من أبرز من دعا أهـــل الأندلـــس وملوكـــهم للتوحد أمام الخطر الأسبانى .

ويرجع القاضى أبو الأصبغ بأصله إلى وادى عبد الله من أعمال حيان وقـــد ولد فى سنة ٤٣١هـ .وتوفى فى الخامس من محرم من ســـنة ٤٨٦هـــ . وقـد استخدمه الأمير عبد الله بن بلقين بن باديس بن حبوس كرســـول لـــه لـــدى أمـــير المرابطين يوسف بن تاشفين عندما استقر بسبتة برسم عبور البحر من أجل الجـــهاد فى الأندلس لإنقاذها من مصيرها المحتوم .

وقد حث ابن سهل الأمير المرابطى بالإسراع بالجهاد فقد كان ابن سهل يؤمن بأنه فى حكم ملوك الطوائف الضعاف المتناحرين ، والمتحالفين مع ملوك أسبانيا ، هلاك للإسلام فى الأندلس ، لذلك فقد أخذ يتقرب ليوسف بن تاشفين ويدفعه لإنهاء حكم الطوائف ولكن ابن تاشفين سرعان ما انقلب عليه وتخوف منه وشك فى ولائه، لأنه انقلب على أسياده من بنى زيرى ، فأبعده عنه(٥٦) . ومن الجدير بالذكر أن كل من المؤرخ ابن حيان وابن حزم قد تخطيا فى كتاباتها مرحلة النقد السياسى لملوك الطوائف إلى مرحلة الدعوة للم الشمل والتوحد ويتضح ذلك من خلال تحليلاتهما للأوضاع السياسية آنذاك(٥٧) .

٣ - الصورة الثالثة من صور مقاومة علماء الأندلس للخطر الأسبانى وتتمثل فى الجهاد بالنفس والمشاركة فى المعارك الحربية :

لم يكتف بعض العلماء الأندلسيين بالصورتين السابقتين لمقاومة العدو الأسبانى وحماية الأمة الإسلامية فتطور دورهم إلى ما هو أكثر إيجابية وفاعلية وهو المشاركة بالجهاد بالنفس فى المعارك الحربية ضد القوى الأسبانية .

ولم تكن هذه الظاهرة هى وليدة عصر الطوائف ، إذ كان من المألوف أن نقرأ بين سطور المصادر أسماء علماء وفقهاء مرابطين ومجاهدين شاركوا فى الجهاد فى الأندلس ضد القوى الأسبانية فى العصور الإسلامية السابقة ، ومن هؤلاء على سبيل المثال ، الفقيه محمد بن أبى الحسام طاهر القيسى الذى عرف بالشهيد لاستشهاده فى إحدى المعارك ضد الأسبان ، وكان قد شهد فتح مدينتى قلمرية وسمورة مع المنصور محمد ابن أبى عامر ، كما أنه أمضى حياته مرابطا فى مدينة طلبيرة وتوفى شهيدا فى سنة ٣٧٩هـ(٥٨) .

كذلك نطالع اسم الفقيه الزاهد موسى بن عبد الرحمن الذى توفى فى سنة ٣٧٨هـ ووصفه ابن بشكوال بأنه كان من أشهر المجاهدين فى طليطلة(٥٩) . واسم الفقيه المجاهد أبو بكر محمد بن سعدون التميمى الجزيرى المتعبد الذى اختار

المرابطة والجهاد فى بلاد المغرب وقد ذكر المقرى أنـــه غـزا غـزوات عديـدة وتعرض للجهاد وحرص عليه أيضا وتوفى فى عام ٣٤٤هـ(٦٠) . أمـــا فتـح بـن إبراهيم الأموى المعروف بابن القشارى الطليطلى فقد وصفه ابن بشكوال بانه كـان شيخا صالحا كثير الصلاة والصدقة والجهاد وقد توفى فى سنة ٤٣٠هـ . كما أشار ابن بشكوال إلى الأديب العالم العابد المتقشف محمد بن عبد السلام الذى جاهد فـى عصرى الخلافة والفتنة وفقد فى وقعة قتيش فى سنة ٤٠٠ هـ مع الأديـب أبـى عثمان القزاز(٦١) ، والقاضى أبو عبد الله محمد بن عيسى المعروف بـابن الـبريلى التطيلى ، قاضى تطيلة الذى حج بالمشرق فى سنة ٣٨١هـ ودرس علـى علمـاء مصر وعرف بالعلم والصلاح والجهاد بثغرة وتوفى فى سنة ٤٠٠هـ(٦٢) .

وفيما يتعلق بعصر الطوائف موضوع البحث فنطالع اسم الأديب هشام ابـن إبراهيم التميمى ، الذى شاور بالأحكام فى طليطلة وعرف بالشـجاعة فـى ميـدان القتال والفروسية ، واستشهد مجاهدا فى سنة ٤١٩هـ فى عصر الفتنـة وبدايـات الطوائف(٦٣) ، وكذلك سميه هشام بن محمد بن سليمان القيسى الطليطلى الذى كـان من تلاميذ الشيخ أبى عمران الفاسى بالقيروان ، وكان معروفا عنه حبه لجهاد العدو والمرابطة فى الثغور وتوفى فى عام ٤٢٠هـ فى بداية عصر الطوائف(٦٤) .

أما أبو القاسم ثابت بن محمد بن وهب بن عباس الأموى ، الذى كـان فقيـها أشبيليا (ولد فى إشبيلية فى سنة ٣٣٨هـ) ، درس بقرطبة وروى بها عـن أبـى عيسى الليثى وابن القوطية ، كما اشتهر بحفظه الأخبار والتواريخ ، فقد وصف بـأن كان من أهل الطهارة والعفاف والثقة والجهاد فى سبيل الله ، وتوفى فى مدينته فـى عام ٤٢٦هـ(٦٥) .

كذلك نطالع اسم الفقيه خلف بن أحمد بن خلف الأنصارى الذى كـان عالمـا من طليطلة فى المسائل والأحكام ، وقد رفض خلف بن أحمد تولى قضاء مدينتـه ، وارتحل إلى المشرق ، وأوقف من خيله ما يجاهد عليها فى سبيل الله ، وهـو مـن

أساتذة أبى الوليد الباجى بث فيه حبه للجهاد وضـــرورة التمســك بعــرى الوحــدة الإسلامية . وتوفى هذا العالم فى أول عصر الطوائف ، بعد سنة ٤٢٠هـ(٦٦) .

أما النحوى محمد بن يوسف بن محمد الأموى القرطبى المعروف بأنه كـــان من أهل الضبط والإتقان ، وله نصيب وافر فى علوم اللغة العربية والحساب ، فقـد ترك قرطبة فى زمن الفتنة واستوطن الثغور مجاهدا فى سبيل الله ثـــم عــاد إلـــى قرطبة بعد استقرار الأمور بها(٦٧) وتوف فى سنة ٤٢٩هـ ومن استوطن الثغــور أيضا ورابط بها وجاهد ، الفقيه الزاهد عبد الله بن سعيد بن لباج الأموى الشـنتجيالى الذى جاور مكة لمدة أربعين عاما ثم عاد للأندلس فى عـــام ٤٣٠هـــ ، واسـتقر بالثغر الجوفى فى غرب الأندلس بنية جهاد العدو والمرابطة ، ورابط بـــالفعل فـــى بطليوس ومرجيق وشلب ورباط الريحانة من أعمالها حيث كان له فـــرس يسـميه مرزوق يقاتل به بنية الشهادة ، كما كان يروى الحديث بتلك الجهات ، وقـــد توفـــى عام ٤٣٦هـ ودفن بقرطبة(٦٨) ، وكذلك الفقيه الزاهد المحدث أبو الربيع سليمان بـن إبراهيم بن هلال القيسى ، الطليطلى ، الذى فرق جميع ماله ولزم الثغـــور وتوفـــى بحصن غرماج(٦٩) .

ومن علماء الأندلس الذين شاركوا فى موقعة الزلاقـــة الشــهيرة فـــى ســنة ٤٧٩هـ واستشهدوا فيها ، الفقيه الزاهد ، والشاعر أحمد بـــن محمـــد بـــن فـــرج الأنصارى المعروف بابن رميلة القرطبى ، الذى كـــان كثـــير الصدقـــة ، وفعـــل المعروف ، وقد استشهد فى الزلاقة بعد أن استمات فى القتال ، غير مدبر على حـــد وصف ابن بشكوال(٧٠) .

كذلك استشهد فى معركة الزلاقة المفكر والفيلسوف أبو رافع الفضل بن الفقيه الكبير أبو محمد بن حزم الظاهرى ، فقد تشرب من والده مبادئ العمل على الوحـدة الإسلامية والتضامن ، وجاهد فى معركة الزلاقة تحت قيـــادة المعتمـــد بـــن عبـــاد واستشهد(٧١) بها فى عام ٤٧٩هـ ، ومن العلماء الذين شاركوا فـــى وقعـــة قتنـــدة

واستشهدوا بها الفقيه محمد بن يحيى بن عبد الله بن زكريا المعروف بـــابن الفــراء الذى كان قاضيا لمدينة المرية ومن ابرز علماء عصره وانتهت حياته شـــهيدا فـــى هذه الموقعة فى سنة ٥١٤هـ(٧٢) .

ومن شهداء قتندة أيضا الفقيه الشهير حسين بن محمد بن فيرة بن حيون بـــن سكرة الصدفى ، الذى كان من أهل سرقسطة وسكن مرسية . وكان الصدفـــى مـــن تلاميذ أبى الوليد الباجى ، آمن بأفكاره وتشرب مبادئه ، ورحل إلى المشـــرق فـــى سنة ٤٨١هـ ، وتتلمذ هناك على كبار الأئمة والفقهاء فى مصر والعراق ثم عـــاد للأندلس فى سنة ٤٩٠هـ وقصد مرسية ودرس بجامعها مصنفات الحديث والخط ، كما استقضى بها ، وتوفى الصدفى شهيدا فى موقعة قتندة وكان يومها فى الســـتين من العمر(٧٣) .

كذلك نرصد اسم العالم الفقيه أحمد بن محمد بن عمر الزاهد الـــذى أمضـــى حياته ملازما لثغور المسلمين ، مجاهدا صواما قواما وقد عاصر المأمون بـــن ذى النون وتوفى فى سنة ٤٥٠هـ(٧٤) .

الخاتمة

لقد كان للدور الكبير الذى قام به هؤلاء العلماء الذين تعرضنا لسيرتهم أثناء البحث أثر كبير فى إفاقة ملوك الطوائف المتناحرين من غفوتهم ، خاصة فى أعقاب سقوط طليطلة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، فتناسى هؤلاء الملوك المسلمين خلافاتهم للحظة قصيرة من عمر الزمان وتعاونوا مع المرابطين لمواجهة حركة الاسترداد الأسبانى المسيحى فى موقعة الزلاقة .

إن هؤلاء العلماء الأندلسيين الذين أرخنا لهم فى هذا البحث من فقهاء ومؤرخين وشعراء وأدباء ، رغم قلة عددهم بالنسبة لعدد العلماء فى الأندلس آنذاك ، تميزوا فى تصورى ببعد نظر سياسى كبير ، وضمير حى ، ووازع أخلاقى ، وشجاعة كبيرة وعمق فكرى ، جعلهم يفضلون مصلحة أمتهم ودينهم على مصالحهم الشخصية ، فخاضوا طريقا كان صعبا ووعرا ، وهو نقد ملوكهم ودعوة الشعب الأندلسى المسلم للتوحد ثم الجهاد بأنفسهم فى نهاية الأمر .

لقد أدرك هؤلاء العلماء أنهم أمام حركة صليبية أوروبية بكل ما فى هذه الكلمة من معنى ، وليس مجرد حرب مع عدو أسبانى مجاور لهم ، ويؤكد ذلك أن الفونسو السادس ملك قشتالة وليون الذى استولى على طليطلة سنة ٤٧٨هـ/١٠٨٥م ، قام باستنفار أمراء أوروبا وملوكها عندما علم بقدوم المرابطين من بلاد المغرب لنجدة ملوك الطوائف فى أعقاب سقوط طليطلة .

ويذكر الحميرى أنه قد اجتمع له قبيل موقعة الزلاقة مباشرة فى سنة ٤٧٩هـ / ١٠٨٦م من الجلالقة والفرنجة ما لا يحصى عدده(٧٥) . وتبالغ مدونة لوزيتانو المسيحية فى ذكر من توافد من الممالك والإمارات الأوروبية على الفونسو السادس لا سيما من الفرنجة من فرنسا ومن بلاد الألب كما تؤكد المدونة العامة الأولى Primera Cronica General de Espania ، على انضمام قوات كبيرة من الفرنسيين ومن روما إلى قوات الفونسو السادس . وقد شارك القسس والرهبان

الأسبان والأوروبيين فى هذه الموقعة ضد ملوك الطوائف والمرابطين ، رافعين الصلبان وناشرين الأناجيل أسوة بما سيفعله الصليبيون فى المشرق الإسلامى بعد ذلك بعشرة سنوات ، كذلك توافدت على الفونسو السادس فى أعقاب هزيمته فى الزلاقة على يد ملوك الطوائف والمرابطين ، قوات أوروبية لنجدته ، من ليموزين وبواتو ونوماندى بصحبة ريمون دى سان جيل كونت تولوز الذى سيشارك فى الحملة الصليبية الأولى فيما بعد بنحو عشرة أعوام ، وتؤكد المدونة العامة الأولى أن ريمون دى سان جيل قد حصل على مباركة من البابا أوربان الثانى لمشاركته فى هذه الحملة لانجاد الملك القشتالى ، وأن ريمون دى سان جيل كانت تربطه صلة مصاهرة بالملك الفونسو السادس(٧٦) .

إن هذه القلة القليلة من علماء الأندلس التى أدركت مدى أبعاد المخطط الأسبانى فى ذلك الوقت وخطورته بعد حصوله على التأييد والدعم المعنوى والعسكرى من البابوية وملوك أوروبا ، تبينت أن المسلمين أمام خطر أسبانى ، أوروبى ، صليبى ، فى حقيقة الأمر فلم تتهاون أو تتقاعس عن أداء دورها ورغم ضياع الإسلام فى الأندلس فى نهاية الأمر ، بسقوط غرناطة عام ١٤٩٢م ، إلا إننا نقدر ، ونحمد لهؤلاء العلماء إخلاصهم لدورهم كحملة أمناء للعلم ، ومحاولتهم الشريفة لإنقاذ أمتهم ودينهم .

الهوامش

(١) غلب العنصر العربى على قرطبة فى عصر الدولة الأموية بينما غلب المولدون على أشبيلية وطليطلة ، كما تمركزوا مع البربر فى غرب الأندلس ، أما الجنوب ولا سيما غرناطة ومالقة فكان معظم سكانه من البربر (السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين وآثارهم فى الأندلس ، الإسكندرية ، ١٩٩٧ ، ص ٣٦٤) .

(٢) المرجع السابق ، ص ٣٦٤ وارجع كذلك إلى Munes (H), Essai sur La chute du Califat Umayyade de Cordoue en 1009, Le Caire, 1948, p. 169.

(٣) ابن عذارى ، البيان المغرب فى أخبار الأندلس والمغرب ، طبعة بيروت ١٩٥٠، جـ٢ ، ص ٩٦ .

(٤) ابن القوطية ، تاريخ افتتاح الأندلس ، مدريد ، ١٩٢٦ ، ص ٤٦ – ٤٨ ، ابن عذارى ، البيان ، جـ٢ ، ص ١١١ .

(٥) من الأمثلة على ذلك تحالف الثائر المولد ، سليمان بن مرتين المعروف بقعنب مع الثائر البربرى محمود بن عبد الجبار المصمودى وأخته جميلة فى ماردة ضد الأمير عبد الرحمن الأوسط . (لمزيد من التفاصيل راجع سحر عبد العزيز سالم، تاريخ بطليوس الإسلامية وغرب الأندلس فى العصر الإسلامى ، الإسكندرية ١٩٨٩، جـ١ ، ص ٢٣٤ وما يليها) .

(٦) السيد عبد العزيز سالم ، تاريخ المسلمين ، ص ٢٦٧ وما يليها .

(٧) لمزيد من التفاصيل أرجع إلى (سحر سالم ، تاريخ بطليوس ، جـ١ ، ص ٢٣٧ ، وما يليها) .

(٨) من ذلك استعانة واضح الفتى بقومس برشلونة ريموند بوريل الثالث وأخيه أرمنجول الذى يسميه العرب ارمقند فى مقابل تنازله لهم عن مدينة سالم قاعدة الثغر الأوسط واستباحوا المدينة ، وأهلها عند دخولهم فيها . (أرجع إلى ابن عذارى ، البيان ، جـ٣ ، ص ٩٤) .
Levi Provencal Historie de l'Espagne musulmane, Leiden,1950,T, II, p. 313.

(٩) راجع أحداث سقوط طليطلة فى يد الفونسو السادس ملك قشتالة وليون رغم تحالفه مع حاكمها القادر بن ذى النون ومع جده المأمون من قبله ، الذى آواه ، وأجاره

أثناء حرب ألفونسو السادس مع أخيه فى (ليفى بروفنسال ، الإسلام فى المغرب والأندلس ، ترجمة د. السيد عبد العزيز سالم والأستاذ محمد صلاح الدين حلمى ، القاهرة ١٩٥٨) .

(١٠) سعد إسماعيل شلبى ، البيئة الأندلسية وأثرها فى الشعر (عصر ملوك الطوائف ، طبعة القاهرة ، بدون تاريخ ، ص ٤٥) .

(١١) إحسان عباس ، وداد القاضى ، دراسات فى الأدب الأندلسى ، طبعة الدار العربية للكتاب ، ١٩٧٨ ، ص٩ وما يليها .

(١٢) لمزيد من التفاصيل أرجع إلى المرجع السابق ، ص ١٧ .

(١٣) نفسه ، ص ١٧ - سعد إسماعيل شلبى ، البيئة الأندلسية ، ص٥٦.

(١٤) المرجع السابق ، ص ٥٧ .

(١٥) المقرى ، نفح الطيب من غصن الأندلس الرطيب ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٨ ، مجلد٢ ، ص ٩٣، ٩٤ .

(١٦) ابن سعيد ، المغرب فى حلى المغرب ، طبعة ١٩٦٤ ، جـ١ ، ص ٢٣٤ ، سعد إسماعيل شلبى ، البيئة الأندلسية ، ص ٢٨٣ .

(١٧) المقرى ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص ٩٣ ، ٩٤ .

(١٨) المصدر السابق ، ص ٩٤ .

(١٩) نفسه ، وراجع ما ذكره ابن بشكوال فى الصلة ، طبعة تراثنا ، ١٩٦٦ ، جـ٢ ، ص ٤٠٢ ، ترجمة ٨٦٥ .

(٢٠) ابن سعيد ، المغرب ، جـ١ ، ص ٢٣٥ ، سعد إسماعيل شلبى ، المرجع السابق ص ٢٨٣ .

(٢١) المقرى ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص ٩٣ ، ٩٤، وكان ولده أبو القاسم الحسن الهوزنى خال القاضى أبو بكر العربى (المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٢٨) .

(٢٢) ابن سعيد ، المغرب ، الطبعة الثالثة ، ١٩٨٠ ، جـ١ ، ص ٢١ .

(٢٣) ابن شكوال ، الصلة ، جـ١ ، ص ٢٨٥ ترجمة ٦٢٩ .

(٢٤) الحميرى ، الروض المعطار ، تحقيق د. إحسان عباس ، بـــيروت ، ١٩٧٥ ، ص ٩٠ .

(٢٥) المقرى ، نفح الطيب ، جـ٤ ، ص ٣٥٢ ، وراجع ابن سعيد ، المغــرب ، طبعــة ١٩٨٠ ، جـ٢ ، ص ٢١ .

(٢٦) المصدر السابق ص ٢١ ، وارجع كذلك إلى المقرى ، جـ١ ، ص ٥١٤ .

* سحر عبد العزيز سالم ، بنو أبى عبدة ، وزراء وقادة الدولة الأموية فى الأندلـــس ، أحد أبحاث مجموعة « بحوث مشرقية ومغربية فى التاريخ والحضارة الإســلامية» الإسكندرية ، ١٩٩٧ ، جـ١ ، ص ١ – ٥٦ .

(٢٧) ابن بشكوال ، الصلة ، جـ٢ ، ص ٥٨٠ ، ترجمة ١٢٧٨ – الضبى بغية الملتمــس ،ص ٥١ ، ترجمة ٢٥ .

(٢٨) ابن بشكوال ، الصلة ، جـ٢ ، ص ٤٠٣ ترجمة ٨٦٨ . ويذكــــر ابــن بشــكوال ترجمة للفقيه الكبير قاضى الجماعة محمد بن أحمد بن خلف المعروف بابن الحــاج الذى ولد فى سنة ٤٥٨ ، وكان مــن جلــة الفقــهاء وكبــار العلمــاء والمحدثيــن والنحويين، الذى قتل ظلما بالمسجد الجامع بقرطبة وهو ساجد سنة ٥٢٩هـ وإن لـم يحدد سبب مقتله (المصدر السابق ، جـ٢ ، ص ٥٨ ، ترجمة ١٢٧٨) .

(٢٩) ابن بسام الشنتريني ، الذخيرة فى محاسن أهل الجزيرة ، تحقيق د. إحسان عبـاس ، طبعة بيروت ، ١٩٧٨ ، القسم لأول ، المجلد الثانى ، ص ٨٨٦ – إحسان عبـاس ، وداد القاضى ، دراسات فى الأدب الأندلسى ، ص ١٩ .

(٣٠) ابن بسام ، الذخيرة ، المصدر السابق ، ص ٨٨٦ وما يليها .

(٣١) المقرى ، نفح الطيب ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٨ ، جـــــ٤ ، ص ٢٥٥ .

(٣٢) أهتم هذا الأديب بالنظم أكثر من اهتمامه بالنثر ، وتوفى سنة ٥٠٨هـ (الضبـــى ، بغية الملتمس فى تاريخ أهل الأندلس ، ١٩٦٧) .

(٣٣) ابن بشكوال ، الصلة ، جـ١ ص ١٥٣ ، ترجمة ٣٤٥ – محمود على مكى فى تحقيقه لكتاب المقتبس من أبناء أهل الأندلس لابن حيان ، طبعة بيروت ، ١٩٧٣ ، ص ١٠٤ .

(٣٤) المصدر السابق ، ص ٣٤٥ – على أدهم ، بعض مؤرخى الإسلام ، طبعة القاهرة بدون تاريخ ، ص ٦٥ وما يليها .

(٣٥) ابن بشكوال ، الصلة ، جـ١ ، ص ١٥٣ ترجمة ٣٤٥ .

(٣٦) لمزيد من التفاصيل عن حياة ابن حيان ، أرجع إلى محمود على مكى فى تحقيقه لكتاب المقتبس لابن حيان ، ص ٤٠ وما يليها .

(٣٧) المصدر السابق ، ص ١١٥ – على أدهم ، بعض مؤرخى الإسلام ، ص ٦٥ وما يليها .

(٣٨) محمود على مكى فى تحقيقه للمصدر السابق (المقتبس لابن حيان) ص ١١٦ .

(٣٩) ابن عذارى، البيان المغرب ، طبعة بيروت ، ١٩٥٠ ، جـ٣ ، ص ٢٥٤ – ٢٥٥.

(٤٠) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ١ ، م١ ، ص ١٨١ – ١٨٢ .

(٤١) راجع ما ذكره د. محمود على مكى فى تحقيقه لمقتبس ابن حيان ، ص ٤٥ – ٤٦ ويذكر الدكتور مكى أن ذلك لم يمنع ابن حيان من التغاضى عن مبادئه هذه فى بعض المناسبات القليلة ، من ذلك إهدائه تاريخه الكبير إلى المأمون بن ذى النون ملك طليطلة ، رغم أنه كان قد وصف مساوئ أسلافه ومفاسد حكمهم ، ثم هنأ المعتمد ابن عباد بفتح قرطبة وظهوره على المأمون بن ذى النون الذى سبق أن أهداه تاريخه وطرزه باسمه . كذلك قام بمدح الوزير ابن السقاء ، وزير أبى الوليد ابن جهور وهو ما أثار ابن بسام على ابن حيان فنقده فى كتابه الذخيرة على موقفه هذا نقدا لاذعا (أرجع لمحمود على مكى فى تحقيقه لكتاب المقتبس ، ص ٤٨ – ٥٠) .

(٤٢) ابن بشكوال ، الصلة ، ترجمة ٥٢٣ – محمود على مكى فى تحقيقه للمقتبس ، ص ٥٣ – ٥٤ .

(٤٣) ابن بسام ، الذخيرة ، ق ١ ، م١ ، ص ١٦٧ .

(٤٤) المصدر السابق ، ص ١٦٩ .

(٤٥) ابن حزم ، نقط العروس فى تواريخ الخلفاء ، تحقيق د. شوقى ضيف ، مطبعة جامعة فؤاد الأول ، ١٩٥١ ، ٨٣ - ٨٤ .

(٤٦) ابن حزم ، رسالة التلخيص لوجوه التخليص ، ضمن مجموعة رسائل ابن حزم بعنوان « الرد على ابن النغريلة اليهودى ورسائل أخرى » تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ، ١٩٦٠ ، ص ١٧٢ - ١٧٤ .

(٤٧) ابن بشكوال ، الصلة ، جـ٢ ، ص ٤٢٢ ، ترجمة ٩٠٣ .

(٤٨) أرجع إلى عبد الرحمن الحجى ، التاريخ الأندلسى منذ الفتح الإسلامى حتى سقوط غرناطة ، بيروت ، ١٩٧٦ ، ص ٣٣٦ وما يليها .

(٤٩) لمزيد من التفاصيل عن أبى الوليد الباجى أرجع إلى ابن بسام ، الذخيرة ، ق ٢ ، ص ٩٤ - ابن خاقان ، قلائد العقيان القاهرة ، ١٣٢٠ ، ص ١٩٦ - ابن الآبار ، التكملة ، جـ١ ، ص ٣٩١ ، المقرى ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص٢٧٢ .

(٥٠) ابن خلكان ، وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان ، تحقيق د. إحسان عباس ، بيروت ١٩٧١ ، جـ٢ ، ٤٠٨ ، ترجمة ٢٧٥ - النباهى المالقى ، تاريخ قضاة الأندلس ، القاهرة ١٩٤٨ ، ص ٩٥ - المقرى ، نفح الطيب ، جـ٢ ، ص ٢٧٢ .

(٥١) ابن الأبار ، الحلة السيراء ، جـ٢ ، ص ٩٨ ، وارجع كذلك إلى القاضى عياض ، ترتيب المدارك وتقريب المسالك لمعرفة أعلام مذهب مالك ، بيروت ، ١٣٨٤/١٩٦٥ ، ٣ - ٤ /٨٠٨ .

(٥٢) ابن بسام ، الذخيرة ، ق٢ ، م١ ، ص ٩٥ - ٩٦ .

(٥٣) لمزيد من التفاصيل أرجع إلى سحر سالم ، تاريخ بطليوس ، جـ٢ ، ٣٤٠ وما يليها .

(٥٤) لمزيد من التفاصيل راجع كتاب ابن عمر بن عبد البر النمرى ، التمهيد لما فى الموطأ فى المعانى والأسانيد ، تحقيق د. مصطفى العلوى ، الرباط ، ١٩٦٧ ، جـ١ .

(٥٥) ابن بسام ، الذخيرة ، ق٣ ، م١ ، ص ١٧٣ – سحر سالم ، تاريخ بطليوس ، جـ٢ ، ص ٣٥ .

(٥٦) لمزيد من التفاصيل أرجع إلى ابن بشكوال ، الصلة ، جـ٢ ، ص ٤٣٨ ، ترجمة ٩٤٢ – وأرجع كذلك إلى النباهى ، المرقبة العليا ، ص٩٦ .

(٥٧) لمزيد من التفاصيل أرجع إلى عبد الرحمن الحجى ، تاريخ الأندلس ، ص ٣٤٦ .

(٥٨) الضبى ، بغية الملتمس ، ص ٨٤ ، ترجمة ١٥٤ .

(٥٩) ابن بشكوال ، الصلة ، جـ٢ ، ص ٦٠٨ ، ترجمة ١٣٣٠ .

(٦٠) المقرى ، نفح الطيب ، طبعة بيروت ، ١٩٦٨ ، تحقيق د. إحسان عباس ، مجلد ٢ ، ص ١٣٩ .

(٦١) ابن بشكوال ، الصلة ، جـ٢ ، ص ٤٨٨ ، ترجمة١٠٥٤ .

(٦٢) المصدر السابق ، ـ٢ ، ص ٤٨٨، ترجمة ١٠٥٥ .

(٦٣) نفسه ، جـ٢ ، ص ٦٤٨ ، ترجمة ١٤٢٢ .

(٦٤) نفسه ، جـ٢ ، ص ٦٤٩ ، ترجمة ١٤٢٦ .

(٦٥) نفسه ، جـ١ ، ص ١٢٢ ، ترجمة ٢٨٦ .

(٦٦) نفسه ، جـ١ ، ص ١٦٨ترجمة ٣٧٨ .

(٦٧) نفسه ، جـ٢ ، ص ٥٢١ ، ترجمة ١١٣٧ .

(٦٨) نفسه ، جـ١ ، ص ٢٧٢ ، ترجمة ٥٩٨ .

(٦٩) نفسه ، جـ١ ، ص ١٩٩ – ٢٠٠ ، ترجمة ٤٥٠.

(٧٠) نفسه ، جـ١ ، ص ٦٨ ، ترجمة ١٤٤ .

(٧١) لمزيد من التفاصيل عن شخصية أبى رافع الفضل بن حزم وجهاده ، ارجع إلى سعد إسماعيل شلبى ، البيئة الأندلسية ، ص ٤٨ – ابن خلكان ، وفيات الأعيان ، جـ٣ ، ص ١٣ .

(٧٢) ابن بشكوال ، جـ٢ ، ص ٥٧٢ ، ترجمة ١٢٦١ .

(٧٣) المصدر السابق ، جـ١ ، ص ١٤٤ ، ترجمة ٣٣٠ .

(٧٤) نفسه ، جـ١ ، ص ٥٩ ، ترجمة ١٢١ .

(٧٥) الحميرى ، صفة جزيرة الأندلس ، القاهرة ، ١٩٤٨ ، ص٨٨ .

(76) Francisco Henrique Florez, Espana Sagrada t, XIV, Madrid, Chronicon Luisitanum, p.405, Aera 1125.

حيث ورد فى هذه المدونة النص التالى الذى يؤكد وفود فرنسيين وأوربيين مـــن بـــلاد الألب لمساندة الفونسو السادس فى موقعة الزلاقة .

« Ubi unanimities convenerunt cum rege nostro christiani a partibus Alpes, multique Francorum in adjutorium ci affuerunt ».

أرجع كذلك إلى :

Primera Cronica General de Espana, editada por Ramon Menendez Pidal, Madrid, 1977, T. II, 557, 520, 521.